

روح المعاني

عن الحجة البينة الواضحة أو بمعنى بينة وهي صفة لحجة هي الخبر وجعل الحجة بصيرة لأن صاحبها بصير بها فالأسناد مجازي أو هي بمعنى دالة مجاز أو جوز أن يكون هناك استعارة مكنية وتخيلية والتأنيث للمبالغة أو لتأنيث الموصوف أعني حجة وقيل ذلك لأرادة الجوارح أي جوارحه على نفسه بصيرة أي شاهدة ونسب إلى القتيبي وجوز أن يكون التقدير عين بصيرة وإليه ذهب الفراء وأنشد : كأن على ذي العقل عينا بصيرة .
بمجلسه أو منظر هو ناظره يحاذر حتى يحسب الناس كلهم .
من الخوف لا يخفي عليهم سرائره وعليه قيل الإنسان مبتدأ أول وبصيرة بتقدير عين بصيرة مبتدأ ثان وعلى نفسه خبر المبتدأ الثاني والجملة خبر المبتدأ الأول واختار أبو حيان أن تكون بصيرة فاعلا بالجار والمجرور وهو الخبر عن الإنسان وعمل بالفاعل لاعتماده على ذلك وأمرالتأنيث ظاهر وبل للترقي على الوجهين إرادة حجة بصيرة وإرادة عين بصيرة والمعنى عليهما ينبئ الإنسان بأعماله بل فيه ما يجزي عن الأنباء لأنه عالم بتفاصيل أحواله شاهد على نفسه بما عملت لأن جوارحه تنطق بذلك يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون وفي كلا الوجهين كما قيل شائبة التجريد وهي في الثاني أظهر وقوله تعالى ولو ألقى معاذيره أي ولو جاء بكل معذرة يمكن أن يعتذر بها عن نفسه حال من المستكن في بصيرة أو من مرفوع ينبؤ أي هو على نفسه حجة وهو شاهد عليها ولو أتى بكل عذر في الذب عنها ففيه تنبيه على أن الذب لا رواج له أو ينبؤ بأعماله ويجازي ويعاقب لا محالة ولو أتى بكل عذر فهو تأكيد لما يفهم من مجموع قوله تعالى ينبؤ الإنسان الخ والمعاذير جمع معذرة العذر على خلاف القياس والقي اسمعا ذر بغير ياء وأطلق عليه الزمخشري اسم الجمع كعاداته في إطلاق ذلك على المجموع المخالفة للقياس وإلا فهو ليسمن أبنية اسم الجمع وقال صاحب الفرائد يمكن أن يقال الأصل فيه معاذر فحصلت الياء من إشباع الكسرة وهو كما ترى أو جمع معذار على القياس وهو بمعنى العذر وتعقب بأنه بهذا المعنى لم يسمع من الثقات نعم قال السدي والضحاك المعاذير الستور بلغة اليمن واحدها معذار وحكى ذلك عن الزجاج أي ولو أرخى ستوره والمعنى أن احتجابه في الدنيا واستتاره لا يعني عنه شيئا لأن عليه من نفسه بصيرة وفيه تلويح إلى معنى قوله تعالى وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم الآية وقيل البصيرة عليه الكاتبان يكتبان ما يكون من خير أو شر فالمعنى بل الإنسان عليه كاتبان يكتبان أعماله ولو ذتستر بالستور ولا يكون في الكلام على هذا شائبة تجريد كما تقدم والإلقاء على إرادة الستور ظاهر وأما على إرادة الأعذار فقليل شبه المجيء بالعذر بالإلقاء

الدلو في البئر للاستقاء به فيكون فيه تشبيه ما يراد بذلك بالماء المروي للعطش ويشير إلى هذا قول السدي في ذلك ولو أدلى بحجة وعذر وقيل المعنى ولو رمى بأعذاره وطرحها واستسلم وقيل ولو أحال بعضهم على بعض كما يقول بعضهم لبعض لو لا أنتم لكانا مؤمنين ولو على جميع هذه الأقوال إما أن يكون معنى الشرطية منسلخا عنها كما قيل فلا جواب لها إن يكون باقيا فيها فالجواب محذوف يدل عليه ما قبلواستظهر الخفاجي الأول وفي الآية على بعض وجوها دليل كما قال ابن العربي على قبول إقرار المرء على نفسه وعدم قبول الرجوع عنه وإِ تعالى أعلم أخرج الأمام أحمد والبخاري ومسلم والترمذي وعبد بن حميد والطبراني وأبو نعيم والبيهقي معافي الدلائل وجماعة عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة فكان يحرك به لسانه وضمته مخافة أن ينفلت منه يريد أن يحفظه فأُنزل الله تعالى لا ترك به لسانك الخ فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك إذا أتاه جبريل أطرق وفي